# **5/- الفنون الإسلامية[[1]](#footnote-1):**

لم يعرف العرب في جاهليتهم فنونا بمعنى ما يعنيه المعنى الموجه نحو لفظ الفن؛ عدا الشعر والخطابة التي مثلت متنفسا لغويا وفنيا وحتى اجتماعيا وسياسيا لهم، لكن المر تغير بعد الإسلام حيق اطلعوا على أفكار وآراء متنوعة وتذوقوا فنونا عديدة، نقلوها إلى مجتمعاتهم بعد تهذيبها والإبداع فيها؛ إلى أن أصبح لهم طابع مميز وطرز خاص بهم، ومن أهم الفنون التي اهتموا بها:

* الشعر والخطابة
* الغناء والموسيقى
* الخط والزخرفة

**الشعر والخطابة:**

يقول ابن خلدون: "وأما العرب فكان لهم أولا فن الشعر يؤلفون فيه الكلام أجزاء متساوية، على تناسي بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة، ويفصلون الكلام في تلك الأجزاء تفصيلا..." والشعر عندهم ترجمان الخيال المصور لأشجان النفس وأفراحها ووقارها وطيشها، وهو فطري فيهم يندر فيهم من لا يستطيعه، فطبيعتهم شعرية لأن نفوسهم حساسة، وقد أغرموا به لأنهم سجل مفاخرهم وشاهد صوابهم أو خطئهم، واصل يرجعون إليه في كثير من حكمهم وعلومهم، وكان يرتفع شأن القبيلة بشعرائها.

وأما الخطابة فهي الشعر المنثور الذي يحرك العواطف ويوقظ الشعور ويثير النفوس وهي كالشعر تحتاج إلى الخيال والبلاغة فالعبارة البليغة قد تقعد القوم أو تقيمهم، وكان في الغالب الخطباء هم رؤساء القبائل وحكماؤها، وقد أثر القرآن ببلاغته وسحر معانيه على شعر الشعراء وعلى خطابتهم؛ وقد كان للشعر والخطابة اهمية في بلاط الخلفاء وفي شحن الهمم في الحروب لرفع الرايات والهب نحو الانتصارات.

**الغناء والموسيقى:**

الموسيقى فن رياضي يبحث فيه عن أحوال النغم من حيث الاتقان والتنافر، وأحوال الزمنة المتخللة بين النقرات من حيث الوزن وعدمه ليحصل معرفة كيفية تأليف اللحن...، وهو يشتمل على بحثين البحث الأول عن أحوال النغم ويسمى علم التأليف، والبحث الثاني عن الأزمنة يسمى الإيقاع؛ والغناء تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض بنسب متفاوتة، فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب، وقد تغنى الحداة العرب في حداء أيلهم، والفتيان في خلواتهم، كما كانوا يضربون على الدف من القديم.

بعد انتصارات المسلمين على العجم، حازوا ممالكهم واستولوا على خيراتهم، وأصبح غلمانهم موالي للعرب في الحجاز والعراق والشام، وغنوا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير، فقد ظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس كما أخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريح وأنظاره.

أخذ حب الموسيقى يتطور إلى شغف مفرط في عهد الخليف "وليد الثاني"، وأصبحت الموال الطائلة تصرف على مشاهير المغنيين والموسيقيين، وأخذت صناعة الغناء تتدرج وتزدادا إتقانا كلما قربت الدولة من الترف ، وبلغت الغاية على يد إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصللي وابنه اسحاق، وابنه حماد في عهد بني العباس خاصة في عهد الرشيد الذي كان أول من وضعها تحت رعايته، فارتقت في ظله حتى أصبحت مهنة شريفة، وساهم الأمراء والأميرات في الرفع من شأنها، فكانت الأميرة "علية" المعروفة بفضلها وورعها من الشهيرات في فن الموسيقى، ولها ذوق سليم في وضع الألحان والأنغام.

وقد تعددت آلات الموسيقى وتنوعت بين الدف والطنبور والعود، والرباب والناي والصنج، والقيثار والأرغول، وقد اشتغل علماء المسلمين على نقل كتب الموسيقى اليونانية والفارسية وترجمتها في سياق ظاهرة ترجمة العلوم التي عرفت بها الحضارة الإسلامية، وعملوا على دراستها وتهذيبها وأضافوا لها إبداعاتهم ومؤلفاتهم الخاصة، واشهر من برع في الموسيقى وألف فيها الكندي (ت873م) والفارابي (950م) وعبد المؤمن (1294م) وقد اكتمات بهم الموسيقى العربية من الناحية النظرية والتطبيقية غير أن معظم مؤلفاتهم اندثرت ولم يبق منها إلا القليل.

**الخط والزخرفة:**

الخط رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس حسب ابن خلدون.

وإن لم يكن للعرب مساهمة معتبرة في مجال الخط لاعتمادهم بشكل كبير على الذاكرة إلا أن منهم من تعلمه في بلاد الشام والعراق على إثر رحلات التجارة الصيفية والشتوية وكتبوا بالحرف النبطي أو السرياني أو العبري فتولد من الأول الخط النسخي ثم الخط الكوفي، واختلفوا فيمن نقل الخط الكوفي إلى العرب والأشهر أنهم أهل الأنبار.

ولما جاء الإسلام كان العرب يعرفون الخط لكنه لم يكن شائعا بينهم، إلا ثلة من الصحابة مثل عمر وعثمان وعلي وطلحة وأبو عبيدة بن الجراح والعلاء بن الحضرمي وأبو سلمة بن عبد الأشهل؛ ومنهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن وفي أيامهم تفرع الخط الكوفي إلى أربعة أقلام اشتقها من بعضها البعض كاتب يدعى قطبة كان أكتب أهل زمانه، وكان يكتب لبني أمية المصاحف، ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان في أوائل الدولة العباسية وزادت الأقلام حينئذ حتى وصلت اثنا عشر قلما(الجليل، السجلات، الديباج، وأسطور ما الكبير، والثلاثين الزنبور، المفتح، الحرم، المدمرات، العهود، القصص، الحرفاج)؛ وفي أيام المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط حتى أصبحت عشرون قلما مشتقة كلها من الخط الكوفي (المرصع، النساخ، الرياسي، الرقاع، غبار الحيلة).

وأما الخط النبطي والنسخي فلم يكن شائعا في الوثائق الرسمية وإنما في الكتابة العامة حتى نبغ علي بن مقلة الوزير سنة 328ه فأدخل عليه تحسينا وأدخله في كتابة الدواوين، ثم تلاه بعد ذلك علي بن هلال الكاتب؛ ويعود وضع الحركات والنقط إلى أبي الأسود الدؤلي، حسب ما تذكره العديد من المصادر، ليس لتمييز الحروف وإنما لتمييز الفعل من الاسم من الحرف.

تجنب المسلمون الصور المجسمة والتماثيل وتحرجوا منها حتى لا يتشبهوا بعبدة الأوثان، وقد دفعهم هذا الحرج إلى يتجهوا إلى الزخرفة فأكبوا عليها وأفتنوا فيها وأجادوا زخرفة النسيج والزجاج والكتب وغيرها بالمناظر الطبيعية والأشكال الهندسية والنباتية التي تؤلف على نحو يجعلها جميلة تسر الخاطر، وقد أهملوا الظل والنور والأبعاد الثلاثية لعدم الوقوع في الشبهات.

وعلى العموم فإن الفن الإسلامي في مجال الزخرفة تميز بعدة خصائص منها:

* الفن الإسلامي يقو على عقيدة التوحيد، وعلى تصور شامل للكون والإنسان والحياة.
* ميدانه التحسينات والكماليات وليس الضروريات.
* وظيفته صنع الجمال.
* الفن في التصوير الإسلامي وسيلة لا غاية، والغاية منه أن يستغل الإنسان مواهبه وذكائه.
* الفن الإسلامي مستقل عن العلوم الأخرى.

[[2]](#footnote-2)[[3]](#footnote-3)

1. - أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص220 وما بعدها/ اسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص. [↑](#footnote-ref-1)
2. [↑](#footnote-ref-2)
3. [↑](#footnote-ref-3)